منهج أبي الفرج الأصفهاني في شرح النص في كتاب الأغاني

د. كريم علكم ألكعبي

جامعة ميسان – كلية التربية الأساسية – قسم اللغة العربية

الفصل الأول: أبو الفرج وشروح الشعر

المبحث الأول: حياته وثقافته

ولد أبو الفرج الأصفهاني علي بن الحسين بن محمد بن أحمد القرشي بأصفهان سنة ٢٨٤ هـ، فنسب إليها، ونشأ في بغداد، في أزهى العصور الأدبية، حذق بالعربية وبرع فيها، حتى صار زعيماً للحياة الأدبية الناشطة في بغداد، نال رعاية سيف الدولة الحمداني والوزير المهلبي، وتنقل في حياته بين عدة بلدان ومدن، وعاش في سامراء والكوفة، إلا أنه قضى أغلب عمره في بغداد في فترة نضوج الحضارة الإسلامية وشيوع فن الغناء [١]، مما دفعه إلى تأليف الأغاني، الذي لم يكن كتاباً في الغناء، وإنما في التاريخ والأدب والأخبار الأدبية وسير الرجال، ويدلل الأغاني على أن صاحبه ألف مصدراً ضخماً غنياً لدراسة شعر العرب وشعرائهم وتاريخهم منذ الجاهلية وإلى أواخر القرن الثالث الهجري، كما أنه مصدر لكثير من فنون الثقافة العربية، ومظاهر الحضارة العربية في قصور الخلفاء وغيرهم من الأمراء والوزراء والرؤساء وأنماط حياة الناس العامة في البيوت والأسواق ومجالس العلم في حنايا المساجد وساعات اللهو والأنس في جنبات الحدائق والبساتين وسائر نواحي الحياة الاجتماعية [٢] توفي في بغداد سنة ٣٥٦ هـ [٣].

يكشف كتاب الأغاني عن ثقافة مؤلفه الواسعة فهو من الرواة والإخباريين، درس معارف عصره على الشيوخ ودرسها للآخرين، ووسع آثار هذه التربية الأولى الأساتذة الذين تخرج عليهم أبو الفرج، إذ روى عن طائفة جليلة عاشوا في القرن الثالث والرابع، وعاصر نخبة من أعلام العلماء وأئمة الأدب وأركان اللغة وكبار الرواة، ومفاخر التاريخ ممن نالوا الشهرة الواسعة والصيت الذائع وماتوا قبله أو عاشوا بعده، وروى عنهم أو رووا عنه، وكانوا من أصدقائه أو ممن زاملوه في الدرس وممن ذكرهم في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كتاب الأغاني أو ذكروا فـــي غيره وهم كثيرون لا يحصون، وأشار صراحة إلى المصدر الذي استقى منه مادته وبخاصة الـــرواية، لأنه كان خاتمة رواة العربية، حتى تقف على روايات من عـــصر بنـــي أميـــة. وأخباره جميعها كانت بسند يطول إذا كان الخبر بعيداً عن عصره، ويقصر إذا كان الخبر قريباً عن عصره [٤] وكان أكثر اتساعاً في الرواية في الأخبار التي فيها جانب المرح والهزل والسمر، وترجم لما يقارب الـــ (٥٠٠) شاعر وشاعرة ولم يرتبهم على طبقات كما صنع أبن سلام، ولم يذكرهم بحسب زمانهم كمـــا فعـــل أبن قتيبة، بل يذكرهم حسب الأغاني، فضم الكتاب كماً هائلاً من الروايات المتـــصلة فـــي الأدب العربـــي، ومعظم تراجمه طويلة وغزيرة المادة وله وقفات نقدية معهم.

ومن شيوخه :

١. أبو بكر بن دريد: ولد في البصرة سنة ٢٢٣ هـــ، وكان نابغة زمانه، وإمام عـــصره فـــي اللغـــة والأدب والشعر والأنساب، وكان يقوم في بغداد بتدريس النحو والأدب، توفي سنة ٣٢١ هـــ.
٢. أبو بكر بن الأنباري: وكان من أعلم الناس وأفضلهم في نحو الكوفيين، وأكثرهم حفظاً للغة، وكان في غاية الذكاء والفطنة، وجودة القريحة، وسرعة الحفظ، ويضرب به المثل في حضور البديهـــة، وسرعة الجواب، ويقوم في بغداد بتدريس النحو والأدب، توفي سنة ٣٢٨ هـــ.
٣. الفضل بن الحباب الجمحي: هو أبو خليفة الفضل بن الحباب بن محمد أبـــن شـــعيب بـــن صـــخر الجمحي البصري توفي سنة ٣٠٢ هـــ، من رواة الأخبار والأشعار والأنساب وكان أحد أصـــحاب الحديث، واسع الدراية، ولي القضاء في البصرة.
٤. علي بن سليمان الأخفش: الأخفش الصغير وكان ثقة حافظاً للأخبار، وكان مـــن أفاضـــل علمـــاء العربية ومربياً جليلاً توفي سنة ٣١٥ هـــ.
٥. إبراهيم بن محمد بن عرفة (نفطويه): كان عالماً في العربية واللغة والحديث، صادقاً فيما يرويـــه، وحافظاً للقران، كان يقوم في بغداد في تدريس النحو والأدب، وصنف كتباً كثيـــرة، وخلـــط نحـــو الكوفيين بنحو البصريين، توفي سنة ٣٢٣ هـــ.
٦. محمد بن خلف بن المزبان: كان حافظاً للأشعار والأخبار والمُلح وفاضلاً بليغـــاً مؤرّخـــاً وعالمـــاً بمجاري اللغة، وكان أحد التراجمة، ينقل الكتب الفارسية إلى العربية. له أكثر من خمسين منقـــولاً من كتب الفرس وله بضعة عشر كتاباً في الأوصاف، توفي سنة ٣٠٩هـــ.
٧. جعفر بن قدامة: أحد مشايخ الكتَّاب وعلمائهم وكان وافر الأدب، حسن المعرفة، وله مصنفات فـــي صنعة الكتابة وغيرها. توفي سنة ٥١٩هـــ.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن أساتذته الآخرين جحظة البرمكي، ومحمد بن جرير الطبري، وأبو أحمد يحيى المنجم وعمه الحسين بن محمد. وكان لهؤلاء جميعاً أثر واضح على شخصية أبي الفرج العلمية والأدبية: فكانوا مصدر ثقافته ومنهجه، مما جعل الأغاني روضة غنَّاء. ونال شهرة وذيوعاً واحتفالاً به، وبخاصة الدراسات النقدية بعد تراث نقدي في الشعر ابتداء من صحيفة بشر بن المعتمر ٢١٠هـ وحتى كتاب الصولي (أخبار أبي تمام) [٥] فوقف أبو الفرج عند النصوص محققاً في تسلسلها الزمني ونسبتها وشرحها وتوضيحها وقد أسعفته في ذلك ثقافته التي أشرنا إليها سلفاً.

المبحث الثاني: شروح الشعر

يقال: شرح فلان الأمر أي وضَّحه. قال ابن الأعرابي: الشرحُ: الحفظ، والشرحُ: البيان، والشرحُ: الفهم [٦]. ويكفي في تعريف شرح الشعر أنه الموضح لألفاظه ومعانيه، لذلك يرى القُدامى أن تفسير القرآن وشرح الشعر لابدَّ وأن يشمل أقداراً من علوم أخرى يحتاج إليها في فهم القرآن أو الشعر كاللغة والصرف والبيان والنحو... إلى غير ذلك من العلوم.[٧]

وقد اختلفت الشروح باختلاف مناهج الشراح ومذاهبهم وطرائقهم واتجاهاتهم، سواء أكان منها ما هو فني أم طريقتهم في فهم النصوص وشرحها، والاتجاهات العلمية التي كانوا يقصدونها حين يتصدرون لشرح الشعر بهدف زيادة بيان وتوضيح ما يتلبس أمره على المتلقي، إذ تلقى العرب شعرهم بفهم دون مشكلة تعترضهم، وبخاصة في العصريين ما قبل الإسلام والإسلامي، وبسبب المناخ الواحد الذي عاشه الشعر وجمهوره، والبيئة الثقافية الواحدة التي كانت ساندة آنذاك، وشيوع اللغة وفهمها، وهي ما زالت نقيَّة لم يُدنَّسْها شيء. ولما جَمَعَ الرواة الشعر القديم لم يشرحوا شيئاً منه، وهذه الحاجة كانت مُلحَّة كلما تقادم الزمن، إذ أن أغلب الشروح ظهرت في القرن الثالث الهجري [٨] وبخاصة شروح الدواوين لا الأشعار بعد شيوع اللحن وفساد اللغة وكثرة اللكنات وضعف الملكات اللسانية، إذ أصبح الجمهور بحاجة إلى تفسير وشرح أفكار ومعاني الأبيات، وقد لبَّى العلماء هذه الدعوة فاكّبوا على شرح وتفسير ما يحتاج إلى توضيح مستفيدين من ثقافتهم الخاصة ومن ثقافة تلاميذ أولئك العلماء الأوائل ويعدّ شرح الدواوين أكثر نضجاً في هذا الميدان من شرح المجاميع كالمفضليات والأصمعيات والنقائض. [٩]

ويتصل بشروح الشعر ما كتبه العلماء في معاني الشعر وكان سبيلهم إلى هذه الشروح توضيح الأبيات المستغلقة على ذوي المستويات الثقافية الهابطة. إلا أن بعض الشروح تجاهلت شرح كثير من أبيات ظناً من الشارح أنها مفهومة في عصره إلا أنه كلما تقدَّم الزمن صارت غامضة حتى بات من المعقول إعادة النظر في هذه الشروح وشرح ما لم يُشرح. وسلَكَ الشارحون سُبُلاً ثلاثة [١٠]:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١. إثبات القصيدة أو الأبيات كلها ثم تذييلها بشرح عام وشامل.
٢. جمع بعض أبياتها وشرحها سوية، وخاصة إذا كانت معاني هذه الأبيات متقاربة.
٣. شرح القصيدة بيتاً بيتاً على الولاء.

ومن المفيد أن نشير إلى أن حركة شرح الشعر تزامنت مع حركة تفسير القرآن، إذ التفت العلماء إلى الشعر الجاهلي من هذا الباب، إذا ما عرفنا أن الشروح نشاط لغوي تصدَّت إليها الحركة العلمية والثقافية خدمةً للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف (وكان العراق أصلح بيئة لهذه الشروح وذلك للحاجة إليها في تعليم العربية وفهم الدين) [١١].

وأصبحت الحاجة أكثر إلحاحاً في ظروف لاحقة، فبعد انطلاق اللغة العربية في ركاب الفاتحين وخروجها من بيئتها البدوية، وتغلغلها في الأمصار الإسلامية وتعرضها للأخطار نتيجة لاعتناق الشعوب الأعجمية الإسلام واتخاذهم لغته لساناً لهم، فقد تغير الوضع وتعقد الأمر بفرط العقد العربي الفريد، عقد الوحدة الأدبية الذي يربط بين الشعر والشاعر، وأصبح الجمهور غير الجمهور القديم، وتسللت الألفاظ الأعجمية إلى الألسن وفشا اللحن. وكان على زعماء حركة التنقية اللغوية أن يتدخلوا لوقف هذا الزحف الساري على ألسنة العرب عامة والشعر خاصة، وأن يحافظوا على سلامة اللغة من كل شائبة، ويرتفعوا بأذواق القوم ويرجعوا بها إلى عصر النقاء والصفاء.

أن هذه الأشعار القديمة وطأت بيئة حضرية تختلف عن بيئتها البدوية، فكانت بعيدة عن الإفهام، غريبة على الأذهان فكان على العلماء أن يذلِّلوا غامضها، ويشرحوا معانيها تارة في المجالس والمساجد وحلقات العلم، وأخرى عن طريق تصنيف الدواوين، وتأليف الشروح، فكانت الحاجة الثقافية إلى شرح الشعر وحل غموضه مرتبطة بالحاجة التعليمية، والتقويمية التي نشأت في الأمصار، ونتيجة لضعف السَّلائق ونأي القوم عن أصل اللغة وبيئتها، كل ذلك دفع العلماء إلى تلبية هذه الحاجة وحفزهم إلى شرح الشعر. ويقيناً أن للشُّراح مناهج أتبعوها تطورت حتى بلغت مرحلة النقد والتحليل والوقوف عند الأبيات، روايتها وموسيقاها ومعانيها... الخ. [١٢]

وكثرت الشروح في مجالس الأدب، إذ كان كثير من الأدباء مؤدبين لأبناء الخلفاء والأمراء والخاصة، واتخذ هؤلاء المؤدبون الشعر القديم مادة لتأديب التلاميذ وشرح قواعد النحو والصرف، فكان هؤلاء الأدباء رواداً للشراح الذين ظهروا بعدهم. ومنهم، المفضل الضبي مؤدب المهدي والأصمعي مؤدب الأمين، وقد جمعا مختاراتهما المسماة (المفضليات والأصمعيات) [١٣]. وكان منهجهم التفسير اللغوي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والنحوي واللغة، والذي أعتمد لاحقاً من الشروح الأدبية للدواوين، وشكا التبريزي من طغيان اللغة والنحو والأخبار في الشروح، وحاول التقليل منها ما وسعه ذلك. (١٤)

وقدر للشعر العربي أن يتولى جمعه وشرحه ــ حين ظهرت الحاجة لذلك ــ جماعة من اللغويين والنحاة، وقد خلا أغلبهم من ملكة الذوق الأدبي.

وفي القرن الثالث الهجري، أُلِّفت الكتب الأدبية وقد جمعت أطرافاً من الأدب شعراً ونثراً، حتى وقف بعضهم عند النص شارحاً إياه موضحاً لغته ونحوه ورواياته التاريخية، وربما بلغ الحد بهم إلى بيان رأيه ناقداً، كما فعل أبن سلاَّم وابن قتيبة ثم الجاحظ وأبو الفرج، ثم تطورت الحالة في القرن الرابع، إذ رتبت الدواوين، وجمعت على أحرف المعجم كما فعل الصولي ٣٣٥هـ، ثم شرحها كما فعل أبن جني في (الفِسَر) وهو من أوائل شروح المحدثين، ويرى البعض أن الأخفش هو أول من فسَّر الشعر تحت كل بيت، وما كان الناس يعرفون ذلك قبله. (١٥)

المبحث الثالث: شرح الشعر في الأغاني

في كتاب الأغاني إضمامة من نصوص الشعر العربي المشروحة بلغت ١٣٢ نصاً لـ ٧٠ شاعراً، أكثرهم جاهليون، وأقلهم إسلاميون وأمويون وعباسيون وخاصة في صدر هذا العصر (العباسي) مثل: بشار، وأبو الهندي، وأكثر الشعراء الذين شرحت أشعارهم ؛ امرؤ القيس وذو الرمة وزهير وعنترة والمتلمس والخنساء والنابغة الذبياني.

وقف الأصفهاني عند هذه النصوص، وحسب أنها بحاجة إلى شروح ألفاظها وبيان معانيها، وقارئ الأغاني تستوقفه هذه الملاحظة، وقد تابع الباحث ذلك فجمعها (١٦)، وتوزعت في ثنايا أجزاء الأغاني، وبما أن أبا الفرج لم يؤلف كتاباً في شرح الشعر إلا أنه لم يترك الشعر الذي أستشهد به من دون أن يقف عند غريبة وغامضه بهدف تيسير فهمه وتقديمه للقارئ واضحاً في مرماه وقصده، وقد مهدت لهذه المهمة ثقافته الواسعة، وهذه النصوص المشروحة شكلت ظاهرة تستحق الدراسة.

مصادر الشروح:

لا يشك أحد في معرفة أبي الفرج بالعربية وعلومها وهيأ له ذلك كثرة مراسه للأدب ومعرفة أسرار هذا الفن الشعري حتى برز ناقداً يعرف شوارد اللغة وغريبها فضلاً عما ألفه الناس منها، وأعتمد أبو الفرج على خزينه الفكري من علوم العربية كالغريب والنحو والصرف والعروض، وكان كثير العودة إلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مصادره عن طريق الرواية، أو الكتب، وبخاصة علماء الطبقة الأولى والثانية من الرواة، فكان كثير الاعتماد على علماء العربية وفحولها، وبخاصة شيوخه.

ومما ينبغي التأكيد عليه أن أبا الفرج عاش في القرن الرابع، أي من جيل متأخر على الأجيال الأولى في الرواية والشروح مثل جيل الأصمعي وأبي عبيدة وأبن الإعرابي ومن في طبقتهم، والذين عدوا من الجيل الثاني، وقد اعتمد عليهم كثيراً في شروحه، ومنهم كذلك أبو عمر الشيباني وأبو زيد الأنصاري وأبو عمرو بن العلاء فضلاً عن الخليل والفراء.(١٧) وغيرهم من علماء اللغة والرواية والشعر والأنساب.

ومن خلال استقرائنا لشروحه نجده أعتمد بشكل لافت للنظر على الأصمعي حتى ورد أسمه في موارد كثيرة، فأعتمد على أقواله وتخريجاته وآرائه، ونسب له شروحاً كثيرة ولم يتردد في نسبتها إلى الأصمعي متوخياً الدقة العلمية، فضلاً عن روايته سنداً يرجع إلى الأصمعي كما في قوله: " أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي.. (١٨)، وإزاء هذا يحسب القارئ أن الأصمعي مصدر هذه الشروح كافة، وليس هذا غريباً عن أبي الفرج البصري الهوى في لغته ونحوه. ولا تقل منزلة أبن الأعرابي في هذه الشروح عن منزلة الأصمعي إن لم تكن بمستواها، فقد أعتمد كثيراً عليه فضلاً عن روايته عن الأصمعي التي تشكل العمود الفقري لشروحه التي كشفت عن منزلة عالية في الأدب وشخصية قوية حافظة للغريب من اللغة متفقهاً فيها، عالماً بأسرارها، واسع الدراية بروايه الشعر ودَرْس معانيه، محيطاً بأخبار العرب وحفظ المهذب المختار من أشعارهم. (١٩)

الفصل الثاني: منهجه في شرح النص

المبحث الأول: سمات منهجه

لم يؤلف أبو الفرج شرحاً لأي ديوان، إلا أنه وقف عند القصائد والمقطوعات التي وجد غموضاً في ألفاظها ومعانيها، فشرحها شرحاً أدبياً وافياً، وعند دراستها أتضح أنه صاحب منهج جمع فيه بين المناهج التي سبقته في هذا الميدان، إلا أنه كان منهجاً متميزاً، ولكي تتضح صورة منهجه نتمثل بالنص الآتي:

ألا أيها الربـــــع المقيم بعنب سقتك السواقي من مراح ومعزب
بذي هيدب أما الربى تحت ودقه فتروى وأمـــا كل واد فيزغـب

عروضه من الطويل، ويروى (الربع الخلاء بعنب) أي الخالي، وعنب: موضع، ويروى (سقتك الغوادي من مراد)، والمراد: الموضع الذي يرتاد فيرعى فيه الكلأ، والمراح: الموضع الذي تروح إليه المواشي وتبيت فيه، وفي الحديث: أنه رخص في الصلاة في مراح الغنم، ونهى عنها في إعطان الإبل،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمعزب: الموضع الذي يعزب فيه الرجل عن البيوت والمنزل، وأصل العزوب: البعد، يقال: عزب عن رأيه وحلمه أي بعد، والعزب مأخوذ من ذلك، وهيدب السماء: أطراف تراه في أذنابه كأنه معلق به، قال اوس بن حجر:

دان مسف فويق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح

ويزعب: يطفح ــ يقال زعبه السيل إذا ملأه [٢٠]

من شرح البيتين أعلاه يكون منهجه كالآتي:

١. التنويه عن موسيقى النص.
٢. الإشارة إلى أعلى الروايات التي ارتضاها في المتن.
٣. شرح مفردات أعلى الروايات والروايات الأخرى.
٤. الاستعانة بالحديث النبوي الشريف.
٥. ذكر اللغات المتعددة للمفردة.
٦. الاستعانة بعلوم البلاغة.
٧. الاستشهاد بالشعر.

ومن شرحه لنص من معلقة زهير بن أبي سلمى:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بها بحومانة الدراج فالمتثلم
العينُ والآرام يمشين خلفةً وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم
وقفت بها من بعد عشرين حجَّةً فلأياً عرفت الدار بعد توهم
فلما عرفت الدار قلت لربعها ألا عِمْ صباحاً أيها الربع وأسلم
ومن يعصي أطراف الزجاج فإنه يطيع العوالي ركبت كلَّ لهذم
ومن هاب أسباب المنية يلقها ولو رام أسباب السماء بسلم

عروضه من الطويل، الحومانة ــ فيما ذكر الأصمعي ــ الأرض الغليظة وجمعها حوامين. وقال غيره: الحومانه: ما كان دون الرمل، والدراج والمتثلم: موضعان، وروى أبو عمر عن بعض ولد زهير " الدراج " مضمومة الدال، والعين: البقر والآرام: تسكن الجبال، خلفة: يذهب فوج ويجيء فوج يخلفه مكانه، تروى مَجثَم ومَجثِم. فمن قال مجثم قال: جثم يجثم جثوماً، ومن قال مجثم قال جثم يجثم، واللأي: البطء، الزجاج: جمع زج. قال واصلة: إن القوم كانوا إذا أرادوا صلحاً قلبوا زجاج الرماح إلى فوق، فإن أبوا إلا الحرب قلبوا الأسنة. واللهذم: السنان المحدد، يقال: رمح لهذم وسنان لهذم: حاد، وأم أوفى: أمرآة كانت لزهير فطلقها. [٢١]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومنهجه في شرح الأبيات كالآتي:

١. إشارة إلى البحر الذي نظم عليه.
٢. شرح المفردات معتمداً على ما جاء عن العلماء.
٣. الإشارة إلى تعدد الروايات.
٤. ذكر لغات المفردات.
٥. الإشارة إلى تقليد حربي بين العرب.

كان أبو الفرج مدققاً، أفاد من سابقيه، ففي شروحه جهودهم وآلت شروحه إلى ما يشبه المعجم الصغير، فقد أعار لرواية الشعر ورواية اللغة اهتماماً واسعاً، ويسعى إلى اللغة في سبيل الإبانة والتوضيح. فكان واحداً من أبرز الشراح يجمع الآراء والآراء على النص الواحد حتى عُدَّت شروحهُ مراجع لطلاب الأدب والتاريخ واللغة، ويقترب أبو الفرج في شروحه من أكمل المناهج في هذا الباب، فهو يجمع الشروح السابقة ثم ينتخب منها، حتى يترك الحرية لاختيار الشرح المناسب الذي يفي بالغرض ويحقق الغاية، ويغني عن جميعها. فهو مجهود علماء كثيرين، أي هو نقل الموروث وانتقاء الغالب منه، ومن جانب آخر يدل على سعة ثقافة الشارح وكثرة إطلاعه من خلال عرض آراء سابقيه، وهو في هذا لم يكن حاطب ليل بل كان جامعاً ممحصاً مدققاً، إلا أنه كان فضلاً عن ذلك ــ شمولياً مستقصياً. والمنهج الذي سلكه أبو الفرج تتوافر فيه عناصر عديدة منها:

١. تحديد أسم الشاعر، وأحياناً ترجمته بالتفصيل.
٢. تحديد نسب الشاعر وعصره وصلته بالآخرين.
٣. تحديد المناسبة التاريخية التي قيل فيها الشعر.
٤. تحديد الروايات مهما تعددت واختلفت، سواء في النص أم في شرح المفردات.
٥. تحديد موسيقى الشعر.
٦. ذكر ما في الشعر من لغة وصرف واشتقاق وأوزان ونحو وإعراب ... الخ.
٧. الاستعانة بالقرآن والحديث والشعر.
٨. شرح المعاني كاملة.
٩. التعريف بالأعلام الواردة في الشعر وتحديد صلتهم بالشاعر.

المبحث الثاني: عناصر المنهج

الرواية:

سلك أبو الفرج منهجاً ثابتاً في بيان رواية النص، فقد جعل الرواية العليا للنص في المتن، وهذا يمثل وجهة نظره، وقناعته في هذه الرواية دون غيرها والتي فضلها ويمثل هذا الاهتمام لدى أبي الفرج نقلة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

متقدمة لدى راوية كبير من طبقات الرواة، وقد روى عن طائفة جليلة عاشوا بين العصرين الثالث والرابع ومنهم: ابن دريد وابن الأنباري والجمحي والأخفش ونفطويه والطبري وابن المرزبان وابن قدامه واليزيدي وغيرهم من رجال اللغة والنحو والأدب والأنساب والأخبار والحديث والتفسير والتاريخ... الخ، التي كان من حصيلتها كتاب الأغاني.

هذا الاطلاع الواسع على الشعر العربي، جعله لا يترك رواياته إلا وثبتها، مما يدلل على نضج هذا العلم لديه فضلاً عن تميزه بالحفظ للشعر العربي ودرايته بتنوع روايات الأشعار، وكجانب من مهمته كمؤلف وناقد.

ذكر أبو الفرج بيتين لعدي بن يزيد هما:

أرقت لمكفهر بات فيه بوارق يرتقين رؤوس شيب

تلوح المشرفية في ذراه ويجلو صفح دخداد قشيب

ويروى: تخال المشرفية [٢٢]

وللشاعر نفسه ذكر البيتين الآتيين:

وثلاث كالحمامات بها بين مجثاهُنَّ توشيم الحُمَمْ

أسأل الدار وقد أنكرتها عن حبيبي فإذا فيها صَمَمْ

ويروى: توشيم العجم [٢٣]

ومن خلال ذلك فقد عمد أبو الفرج إلى تحقيق نسبة الشعر لقائله عندما شرح بيتين علَّق عليهما قائلاً: (البيت الأول من الشعر لزهير بن أبي سُلمى، والثاني ألحقه المغنون به لا أعرف قائله) [٢٤]. وهذه المسألة غاية في الأهمية تكشف بلا ريب عن مقدرة أبي الفرج في تتبع تحقيق النص، وتوثيق قائله في وقت ظلت فيه ظاهرة الانتحال في الشعر مستمرة، فأعطى أبو الفرج حكماً واضحاً في المسألة اعتماداً على مقومات عديدة أمتلكها ثم أهلته لإطلاق مثل هذه الأحكام، ولما عجز عن معرفة قائل البيت الثاني نبه إلى ذلك دون تردد.

وضمن حلقة الرواية في شرح النص. أشار أبو الفرج إلى التغييرات في رواية الأبيات بسبب الغناء لأغراض فنية أو ذوقية أو اجتماعية كان المغنِّي يرى ضرورتها فيلجأ إلى هذا التغيير، وربما حتى الانتحال أحياناً، فالبيت الآتي ــ وهو لامية بن أبي عائذ الهذلي:

تمرُّ كجندلة المنجنيق يرمي بها السورُ يوم القتال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يوضح أبو الفرج روايته فيقول: أما الذي قاله الشاعر في هذا الشعر فإنه قال: (يمر) باليـــاء، لأنـــه وصف به حماراً وحشياً. ولكن المغنين جميعاً يغنونه بالتاء على لفظ المؤنث. وقد وصف ففي هذه القصيدة الناقة ولم يذكر من صفتها إلا قوله: (ومن سيرها العَنق المُسَبطر).

ولكن المغنين أخذوا من صفة البعير شيئاً ومن صفة الناقة شيئاً فخلطوها وغنَّوا فيهما..) [٢٥]

وكان يذكر الروايات للأشعار، إلا أنه لم يقف عند هذا الحد، بل يرجح ما يراه مناسباً منها، وذلـــك نابع من مقدرته في هذا الميدان ومعرفته الدقيقة في الشعر وروايته. وقبل أن يشرح أبياتـــاً لأبـــي ذؤيـــب الهذلي قال: قوله: (أسألت) يخاطب نفسه، ويروي: (عن السكن أو عن أهله)، والسكن: الذي كـــانوا فيـــه. وقال الأصمعي: السكن: سكن الدار. والسكن: المنزل أيضاً. ويروى: (عفا غير نؤي الدار) والنؤي: حاجز يجعل حول بيوت الأعراب لئلا يصل المطر إليها، ويروى ــ وهو الصحيح: واقطاع طفى قد عفـــت فـــي المعاقل)[٢٦]

وأطرد هذا الترجيح في الروايات في شروحه، وعمله هذا يعدُّ عاملاً مساعداً في تحقيق النصوص، لأنه أقرب إليها عهداً، وأكثر من غيره معرفة بها.

فبعد أن شرح بيتي الحطيئة:

هل تعرف الدار من عامين أو عام دارٌ لهند بجـــزع الحُرج فالـــدامِ

تـــحنو لأطـــلائها عيـــنٌ مـــلمَّعةٌ سفحُ الحدود بعيدات من الرامي

بدأ شرحه بقوله: الحرج والدام: موضعان، ويروى (مُذْ عامين) وهذا الأجود، وكلاهمـــا روي)[٢٧]، وتفضيله رواية (مذ) بسبب معناها وملاءمتها للسياق، فهي ظرفية زمانية، أما (من) فهي للمكـــان وابتـــداء الغاية، وعلى الرغم من ترجيحه لأسباب لغوية فإنه لا ينفي استخدام الروايتين.

وكثيراً ما يذكر مصادر روايته. وكان يعود فيها إلى شيخوخته وبخاصة طبقة الرواة الأولى كما في قوله: (ورواه ابن الأعرابي: ويجلو صفح دخداد قشيب)[٢٨] وروى أبو عمرو (يا عيـــدَ قليـــل مـــن شـــوق وإبراق)[٢٩]، وروى أبو عمرو عن بعض ولد زهير (الدُراج مضمومة الدال)[٣٠] ورواه الأصمعي (هـــوى لها) [٣١]، وروى الأصمعي (أصيلانا وهو تصغير أصلان) [٣٢] واستوفى الروايات كافة في الـــنص متـــى تيسر له ذلك. مما يعكس سعت اطلاعه وتضلعه في هذا المجال فقـــال: وقولـــه: (يـــسرون مقتلـــي) قـــال الأصمعي: يسرونه، وروى غيره: (يشرف) بالشين المعجمة، أي يظهرونه، وقال الشاعر:

فما برحوا حتى أتى الله نصره وحتى أشرَّت بالأكف الأصابع

أي أظهرت. وقال غيرهما: لو يسرونه: من الإسرار، أي لو يستطيعون قتلي لأسروه مـــن النـــاس وقتلوني [٣٣]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شرح الألفاظ:

كان هم أبي الفرج في شروحه شرح الغريب وإيضاح المبهم بغية تيسير المعنى للقارئ، فكان يبدأ بالجزء وهو المفردة ثم يتدرج إلى المعنى العام، وأحياناً يكتفي بشرح الألفاظ عندما يشعر أن المعنى صار واضحاً، إلا أنه يذكر المعنى العام متى ما رأى ضرورته وبخاصة الذي يتسق ومرمى النص.

وتفانى أبو الفرج وصال وجال في عمله هذا فكشف عن ثقافة لغوية وسعة محصول علمي. ومما زاد تألقه أنه لم يكتف بالمعنى اللغوي الملائم للنص وإنما يعمد إلى ذكر معاني المفردة الأخرى. ومعاني المفردات هو ما شاع بين العلماء وعرفوه، وشروحها مواد تقريرية متفق عليها. فهي شروح موضوعة موروثة منقولة عن السلف وفي أحيان كثيرة يتكئ في الشروح على غيره ويذكر مصادرها وأسماءها مثل الأصمعي وأبو عبيدة وابن الأعرابي وابن السكيت والخليل وسيبويه وغيرهم.

وعندما يقتنع بالشرح فينقله كما هو عن صاحبه مثلما حصل في شرح قصيدة الخنساء ومطلعها:

ألا ما لعينك أم ما لها لقد أخْضل الدمع سرابالها

عقب عليها بقوله: (التفسير عن أبي عبيدة قوله: حلت به الأرض. قال بعضهم: حلَت من الحلية، زينت به الأرض موتاها حين دفن بها، وقال بعضهم: حلت من حللت الشيء. والمعنى: ألقت مراسيها. كأنه كان ثقلاً عليها، قال: اللفظ لفظ الاستفهام، والمعنى خبر كما قال جرير:

ألستم خيرَ من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

قال: جواب (أبَعْدَ) في (آسى) أي أبعد ابن عمرو آسى وأسأل نائمة مالها ؟ قال أبو الحسن الأثرم سمعت أبا عمرو الشيباني يقول: أمور الناس جارية على إذلالها، أي على مسالكها وأحدها ذل. آلة: حالة تقول. فإما أن أموت وإما أن أنجو، ولو قلت (آلَّة) لم تنج، لأن الآلة هي الحربة. هممت بنفسي، قال أبو عبيدة: هذا توعد، قال الأصمعي: كل الهموم، قال الأثرم: كأنها أرادت أن تقتل نفسها. أبو عبيدة: التكدس: التتابع، يتبع بعضها بعضاً، أي يغزو ويجاهد في الغزو كما الوعول في الجبال، عن أبي عبيدة: قال الأصمعي: التكدس أن تحرك مناكبها إذا مشت، وكأنها ينصب إلى بين يديها وإنما وصفتها بهذا، تقول: لا تسرع على الحرب ولكن تمشي إليها رويداً وهذا أثبت له من أن يلقاها وهو يركض، ويقال: جاء فلان يتكدس، وهي مشية من مشي الغلاظ القصار، وقال أبو زياد الكلابي الكداس (عُطاس) الضأن، قال السلمي: التكدس تكدس الأوعال وهو التفحم، والتكدس هو أن يرمي بنفسه رمياً شديداً في جريه، يهين النفوس، تريد غداة الكريهة، وقولها لأنها إذا تذامرت، وغشيت القتال كان أسلم لها من الانهزام كقول بشر بن أبي خازم:

ولا ينجي من الغمرات إلا براكاء القتال أو الفرارُ

وقال بعضهم: أبقى لها في الذكر وحسن القول [٣٤]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولم يبخل أبو الفرج في معلوماته وسعة محصوله اللغوي، فراح يسوق أوجه الخلاف في تفسير الألفاظ وأشار إلى مصادرها، وذكر المعاني العديدة للمفردة سواء منها ما جاء في النص وسياقه، أو في غيره، وبهذا يضع القارئ أمام إلمام تام بالمفردات ومعانيها، وهو يعكس الواقع اللغوي في زمانه حيث تعددت الآراء ووجهات النظر بين اللغويين فضلاً عن اختلاف اللهجات، ففي ضوء هذا الواقع قال في تفسير لفظة (ناطل) في بيت أبي ذؤيب الهذلي الآتي:

ولو أنَّ ما عند ابن بجرة عندها من الخمر لم تبلل لهاتي بناطل

(ابن بجرة هذا فيما ذكره الأصمعي: رجل يبيع الخمر بالطائف وزعم أن الناطل كوز تكال به الخمر. وقال ابن الأعرابي ليس هذا بشيء، وزعم أن الناطل: الشيء يقال: ما في الإناء ناطل، أي شيء. وقال أبو عمرو الشباني سمعت الأعراب يقولون: الجرعة من الماء واللبن والنبيذ) [٣٥]

وقال في شرح أبياتٍ لخزر بن لوزان: [٣٦]

ويكون مركبك القعود وحدجه وابن النعامة يوم ذاك مركبى

.... وقد أختلف في معنى قوله (ابن النعامة) فقال أبو عبيدة والأصمعي: النعامة فرسُه وأبنها ظلها. يقول: أفاد في الهاجرة إلى جنبها فيكون ظلي كالراكب لظلها: وقال أبو عمرو الشيباني: ابن النعامة مقدم رجله مما يلي الأصابع. يقول: فلا يكون مركب إلا رجلي، وقال خالد بن كلثوم: ابن النعامة الخشبة التي يصلب عليها. يقول: أقتل وأصلب فتكون الخشبة مركبي، واحتج مَن ذكر أنه يعني ظل فرسه وأنه يكون كالراكب له بقول الشاعر:

إذ ظل يحسب كل شيء فارساً ويرى نعامة ظلِّه فيَحولُ

قال: وابن النعامة: ظل كل شيء ... [٣٧]

وقال في شرح (الأدحي) في بيتي طريح بن إسماعيل الثقفي: [٣٨]

كالبيض بالأدحي يلمع في الضحى فالحسنُ حسن والنعيم نعيم

حلين من در البحور كأنه فوق النحور إذ يلوح نجوم

الأدحي: المواضع التي تبيض فيها النعام ــ واحدتها أُدحية، وذكر أبو عمرو الشيباني: أنَّ الأدحي: البيض نفسه، ويقال فيه أدحي وأداح أيضاً). [٣٩]

وسلك أبو الفرج منهجاً ثابتاً في شرح الألفاظ إذا يبتدئ بشرح معنى المفردات كما أريد لها في السياق ثم يعرج لذكر الآراء الأخرى في معنى تلك المفردة، إلا أنه من مبتدئه تجده ميالاً إلى المعنى الذي يذكره.

وفي تفسيره (دارة جلجل) قال أبو عبيدة: (دارة جلجل) في الحمى. وقال ابن الكلبي: هي عند عين كندة)[٤٠]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعندما يكون المعنى دقيقا ويستأنس به ويميل إليه يرجعه إلى صاحبه فعند تفسيره (غبش الليل) قال: غبش الليل: بقيته. هذا قول يعقوب بن السكيت) [٤١]

ولإبعاد اللبس الذي قد يقع فيه البعض ويحسب بعض المعاني من المترادف، إلا أن أبا الفرج يوضح هذا اللبس ويشير إلى دلالات الألفاظ. فميز بين الخباء والبيت والخيمة في قوله: الخباء ما كان على عمودين أو ثلاثة. والبيت: ما كان على ستة أعمدة إلى تسعة. والخيمة: من الشعر) [٤٢]

وكان للاختلاف الكبير بين لهجات العرب أثر في شروحه بغية إبعاد سوء الفهم لمعنى المفردة.

(فالسرحان: الأسد في لغة هذيل، وفي كلام غيرهم: الذئب [٤٣] (وقال أبو عبيدة: في سقط اللوى وسقط الولد وسقط النار وسَقط وسُقط وسِقط ثلاث لغات) [٤٤]. (وقال أبو حاتم: فأنشدت أبا زيد هذا البيت. وسألته ما يقول فيه. فقال: لمن هذا الشعر ؟ فقلت لبشار يقوله في ديسم الغزي. فقال قاتله الله ما أعلمه بكلام العرب ! ثم قال: الديسم: ولد الذئب من الكلبة ويقال الكلاب أولاد زارع. والعسبار: ولد الضبع من الذئب..) [٤٥]

وفي شرحه لنص من معلقة زهير بن أبي سلمى قال: الحومانة: فيما ذكر الأصمعي الأرض الغليظة، وجمعها حوامين وقال غيره: الحومانة: ما كان دون الرمل) [٤٦]

وفي شرح نص آخر لزهير قال: والسانح: ما أقبل من شمالك يريد يمينك. والبارح ضده. وقال أبو عبيدة: سمعت يونس بن حبيب يسأل رؤبة عن السانح والبارح. فقال: السانح ما ولاك ميمانه. والبارح: ما ولاك مشائمه) [٤٧]

وفي شرح نص لروح بن زنباع [٤٨] قال: والجباع: القصيرة. والجباع من السهام: الذي لا نصل له. والجباع: الرَّصف " [٤٩]

موسيقى الشعر:

أعار الأصفهاني موسيقى الشعر اهتمامه، وليس ذلك غريباً عن سيرته وعصره الذي ولع فيه، فضلاً عن أن الكتاب مادته الأغاني والمغنون والألحان. فبات لزاماً على المؤلف أن يهتم بموسيقى الشعر، ولهذا جاءت إشاراته إلى موازين الشعر صريحة، وقدمها على غيرها من عناصر الشروح وليست القصائد لها النصيب الأوفر من هذه الصفات وإنما خص الأبيات كذلك. فكان يوضح عروض النص ثم يندرج في بيان عناصر الشرح فيما بعد، ويدل هذا الاهتمام بموسيقى الشعر على ثقافة عروضية تمتع بها أبو الفرج ومن باب اهتمامه بتدقيق النصوص وتحقيقها في ضوء هذا الفهم وهذا الاستيعاب، ولعل الضبط الموسيقي للنص

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بات مهماً أمام الكاتب في عصر تعددت فيه الروايات للأشعار، وربما تشكل هذه الروايات خللاً في الموسيقى من خلال اختلاف الألفاظ فضلاً عن أن أغلب النصوص التي شرحها كانت مغناة.

إن اهتمام أبي الفرج في موسيقى الشعر في كتاب يحمل أسم الأغاني ضرورة وبادرة جليلة ومنهج قويم يسلكه الكاتب يكون في هذا الكتاب أولى من غيره. وإن حسَّه النقدي دفعه في أغلب الأحيان ومن أجل استكمال أدواته أن يتطرق إلى موسيقى الشعر وباطراد، واستخدم لهذه الإشارة مصطلح وعروضه (ثم يتبعه باسم البحر فيقول: (وعروضه من الطويل) [٥٠] وعروضه من الكامل) [٥١] ثم يأتي إلى بيان الرواية واختلافاتها وإن هذا الاختلاف كان مسوغاً لأبي الفرج للعناية بالموسيقى والقافية، وهي جزء من مهمته في تحقيق النص ونسبته لقائله، فكثيراً ما تعددت الروايات لنص ما وتشابهت القوافي، وحتى لا يتم الخلط في هذا، فعمد أبو الفرج إلى الإشارة إلى عروض الشعر، وإن دراسة موسيقى الشعر ربما تساعد على تخطي هذه العقبة (اختلاط نسبة النص) لدى النقاد [٥٢]

الإشارات اللغوية:

يقتضي الشرح اللغوي لكي يكتمل ويستأنس القارئ فيه ويجد ضالته في معرفة النص وتأويله ثقافة لغوية. لهذا نلتقي مع أبي الفرج لغوياً متمكناً، ومقتدراً من الخوض في المسائل اللغوية معتمداً على ثقافته ومستفيداً مما سمعه عن شيوخه، ويبغي من وراء ذلك تقديم مادة مفهومة وواضحة وهو المدرك أن الحاجة ماسة في زمنه أو المستقبل إلى الاستزادة اللغوية لسبر غور المادة اللغوية واستيعاب معانيها ومدلولاتها، وكثيراً ما ينبه إلى اللغات واختلافها، وهو الراوية الواثق من هذه الاختلافات. فقال في: يا للرجال: (يقال للرجال وللَرجال بالكسر والفتح)، وفي إعراب كلمة قال: (والقطر مخفوضة بنسقه على الريح) [٥٣]، (وعجلان من العجلة نصبه على الحال)[٥٤] وحديثه عن الرواية قد يسحبه إلى الحديث عن مسائل لغوية، وهو يتحدث عن رواية (يا أميمَ) مفتوح الهاء، يعرج على الترخيم فيقول: قال الخليل: (من عادة العرب أن تنادي المؤنث بالترخيم فتقول: يا أميمُ ويا عزُ ويا سلمُ) ثم يشير على سبب نصبها: (فلما لم يرخم لحاجته إلى الترخيم أجراها على لفظها مرخمة وأتى بها بالفتح) [٥٥]. وفي تعليق مشابه على شعر لذي الرمة [٥٦] يقول: (وقوله يا اسلمي ها هنا نداء كأنه قال يا دار مي أسلمي ويا هذه أسلمي ــ بدعواها بالسلامة.. و(مي) ترخيم (مية) إلا أنه أقامه ها هنا مقام الاسم الذي لم يرخم).

وللوقف على قدراته اللغوية وإلمامه بآراء النحات والرواة نذكر تعليقه على الشطر الأول من بيت الأعشى الآتي:

لقد كان في حول ثواء ثويته فقضى لبنات ويسأم سائم [٥٧]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقوله: لقد كان في حول ثواء ثويته: قال الكوفيون: أراد: لقد كان في ثواء حول ثويته فجعل ثواء بدلاً من حول، وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام عن يونس قال: كان أبو عمرو بن العلاء يعيب قول الأعشى: (لقد كان في حول ثواء ثويته) جداً، ويقول: ما أعرف له معنى ولا وجهاً يصح. وأما أبو عبيدة فإنه قال: معناه: لقد كان في ثواء حول ثويته).

وأبو الفرج وهو يسترسل في هذا الاستقراء للآراء إنما يثبت آراء كانت معروفة في عصره والعصر الذي سبقه، تداولها العلماء وربما أنفرد بذكرها.

وعندما ينقل آراء العلماء فإن كانت له وجهة نظر فيها علَّق عليها، وإلا تركها كما هي. وهذا دلالة على قناعته في الرأي. وهو يشرح معلقة امرئ القيس نبه إلى رواية لم يقتنع بها فيجد في رأي شيخه الأصمعي خير جواب فيقول: قال الأصمعي: قوله (بين الدخل فحومل) خطأ ولا يجوز إلا بواو (وحومل) لأنه لا يجوز أن يقال: رأيت فلاناً بين زيد فعمرو إنما يقال: وعمرو. ويقال: رأيت زيداً فعمراً، إذا رأى كل واحد منهما بعد صاحبه. وقال غيره: يجوز (فحومل) كما يقال: مطرنا بين الكوفة فالبصرة. كأنه قال: من الكوفة إلى البصرة، يريد أن المطر لم يتجاوز ما بين هاتين الناحيتين وليس هذا مثل بين زيد فعمرو).

وهذا النقاش العلمي إنما يعكس دقة أبي الفرج في نقل آراء العلماء كما أنه لن يترك صغيرة ولا كبيرة مما يظنه مناسباً لشرح النص إلا وذكره. فهو حينما يذكر خطأ رواية (بين الدخول فحومل) فإنما ينبه إلى أن معنى الفاء العاطفة للترتيب وليس للمشاركة.[٥٨]

ويعد كتاب الأغاني من مصادر اللغة المهمة، وكثيراً ما يذكر مؤلفة قضايا ومسائل لغوية كما أسلفت، فلما وردت كلمة (الجون) في شعر ذي الرمة. [٥٩] وجد الفرصة مواتية للتعليق عليها وتوضيح استخداماتها ودلالاتها فقال: (والجون: الأسود، والجون: الأبيض أيضاً وهو من الأضداد) [٦٠] ولما وردت لفظة (الدخدار) في أبيات لعدي بن زيد [٦١] نبهَّ إلى أنها فارسية معربة، وتعني: الثوب المصون، وفي مكان آخر في شرح هذه الأبيات، أعطى معلومة أخرى عن (الدخدار) الثوب المصون، وهو أعجمي معرب أصله: تخت دار)[٦٢]

الاستعانة بالقرآن الكريم:

عزز أبو الفرج شروحه بآيات من القرآن الكريم بغية وضوح المعنى وتوكيداً للمعنى الذي ذهب إليه فكأنما هي إحالة منه للقارئ إلى القرآن الكريم ومعانيه، والاستشهاد بالقرآن الكريم مما اعتمده اللغويون في دراساتهم، ثم هو دلالة على اكتمال أدوات الناقد أبي الفرج.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ففي شرحه لمفردة (الباسق) قال: الباسق: الطويل قال تعالى عز وجل: (والنخل باسقات) [٦٣] وفي شرحه مفردة (غد) من أبيات للأحوص في قوله:

يا للرجال لوجدك المتجدد ولما تؤمل في عقلية في غد

قال: قوله في غد: يريد فيما بعد وفي باقي الدهر. قال الله سبحانه: (سيعلمون غداً من الكذاب الأشِرُ) [٦٤]

وفي شرحه مفردة (حرجاً) في بيت إبراهيم بن هرمة:

أرى حرجاً ما نلت من ود غيركم ونافلة ما نلت من ودكم رشداً [٦٥]

قال: (والحرج: الضيق قال الله تعالى: (يجعل صدره ضيقاً حَرَجاً) [٦٦]. في شرح (من متردم) في قصيدة عنترة قال: يعني بقوله: من متردم: البناء، وهو الردم، أي لم يتركوا بناء إلا بنوة وقال الله عزَّ وجلَّ: (أجعل بينكم وبينهم ردْماً) يعني بناء. وردم فلان حائطه أي بناه)[٦٧]

وفي شرحه (هلا سألته) في النص السابق نفسه، عزز الشرح بالآية الكريمة (واسْأل القرية).

ويكثرُ اتِّكاء أبي الفرج على القرآن الكريم والاستعانة به في توضيح المعاني وتقريبها.

الاستعانة بالشعر:

وكان أبو الفرج يستعين بالشعر العربي في شرح المفردات وبيان معانيها، ودلالاتها مما يكشف عن حافظته ومكانتهِ في الرواية. وقد ذكر أبياتاً كثيرة للاستشهاد لشعراء جاهليين وإسلاميين وأمويين، وهو بهذا ينحى منحى اللغويين والنحاة في شواهدهم للمسائل النحوية أو أوجه الخلاف.

وهو يشرح أبياتاً لعبد الرحمن بن أرطأة [٦٨]. قال: الثواء: الإقامة. قال الأعشى:

لقد كان في حول ثواء ثويته تُقضّى لبانات ويسأم سائمُ [٦٩]

للدلالة على ورود هذا المعنى في الشعر العربي لهذه المفردة وفي شرحه لأبيات قيس بن الخطيم ذكر معنى (شطت) بمعنى (بعدت). ثم عزز قوله هذا بما جاء عن ابن الأعرابي: يقال شطت وشطنت وشسعت وتشسعت وتشسعت وبعدت ونأت، وتزحزت وشطرت قال:

لا تتركني فيهم شطيرا

ومنه سمي الشاطر، وباح: ظهر ومنه باحة الدار، وأنشد:

أتكتم حب سلمى أم تبوح [٧٠]

وفي شرح نص لطريح جاء فيه:

والوشيج: أصول النبت ــ يقال: أعراقك واشجة في الكرم ــ أي نابتة. قال الشاعر:

وهل ينبت الخطي إلا وشيجَه وتنبت إلا في مغارسها النخل [٧١]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي شرح لأبيات لعبيد الله بن قيس الرقيات قال: قوله (لا أمم دارها) يعني أنها ليست بقريبة. ويقال ما كلفتني أمما في الأمر ــ أي قريباً من الإمكان، ويقال: أن فلاناً لامم من أن يكون فعل كذا وكذا قال الشاعر:

أطرقته اسماء أم حَلَما بل لم تكن من رحالنا أمَما

أي قريبة. وقال الراجز:

كلفها عمرو نِقال الضبعانْ ما كلَّفت من أممٍ ولا دان

وقال آخر:

إنك إن سألت شيئاً أمما جاء به الكري أو تجشما (٧٢)

وعندما شرح الغرار في نص آخر للشاعر نفسه قال: (بطئ غرارها) يعني أن صنعها المعروف بطيء، وأصل الغرار من أن تمنع الناقة درتها، ثم يستعار في كل ما أشبه ذلك ومنه قول الراجز:

إن لكل نهلات شرَّه ثم غراراً كغرار الداره

وقال جميل في مثل ذلك:

لاحت لعينيك في بثينة نار فدموع عينيك درة وغرار(٧٣)

استطرادات مفيدة:

لم يتوان أبو الفرج في ذكر الروايات التاريخية وما شاع بين الناس يبغي من ورائها زيادة في الشرح، وترويحاً عن القارئ، وقد كثرت هذه الاستطرادات المفيدة.

وهو يشرح (المسلنطح من البطاح) قال: ما أتسع واستوى سطحه منها. فقد ذكر رواية تقول: قال أبو عبيدة: سمع عمر بن الخطاب (رض) رجلاً يقول لآخر يفخر عليه: أنا أبن مسلنطح البطاح، وأبن كذا وكذا. فقال عمر: إن كان لك عقل فلك أصل، وإن كان خلق فلك شرف، وإن كان لك تقوى فلك كرم، وإلا فذاك الحمار خير منك، أحبكم إلينا قبل أن نراكم أحسنكم سمتاً، فإذا تكلمتم فأبينكم منطقاً، فإذا أخبرناكم فأحسنكم فعلاً) (٧٤)

وفي شرحه (صفي السباب) في بيت لكثير عزة:

سكنوا الجزع جزع بيت أبي مو سى إلى النخل من صفي السباب

قال أبو الفرج: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن علي بن محمد النوفلي عن أبيه قال: يقال: صفا السباب، وصفي السباب، بفتح الفاء وكسرها جميعاً، وهو شعب من شعاب مكة فيها صفا أي صخر مطروح، وكانت قريش تخرج فتقف على ذلك الموضع فيفتخرون ثم يتشاتمون وذلك في الجاهلية فلا يفترقون إلا عن قتال، ثم صار ذلك في صدر من الإسلام أيضاً، حتى نشأ سديف مولى عتبة بن أبي سديف وشبيب مولى بني أمية. فكان هذا يخرج في موالي بني هاشم وهذا في موالي بني أمية، فيفتخرون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثم يتشاتمون ثم يتجالدون بالسيوف، وكان يقال لهم: السديفية و الشبيبية، وكان أهل مكة مقتسمين بينهما في العصبية. ثم درس ذلك فصارت العصبية بمكة بين الجزارين والحناطين، فهي بينهم إلى اليوم وكذلك بالمدينة في القمار وغيره) [٧٥]

وجاء في شرحه لبيتي حسان بن ثابت:

إن التي عاطتهـا فرددتهـا قتلـت فهاتها لـم تقتل

كلتاهما حلب العصير فعاطني بزجاجة أرخاها للمفصل

وبعد أن يذكر رواية أخرى للبيت الثاني فيقول: يروى (كلتاهما جلب العصير) و (حلب العصير) ويروى (للمفصِل) و(للمِفصَل) والمفصِل: الواحد من المفاصل. والمفَصل هو اللسان....

فقال رجل من القوم: ما معنى قوله (إن التي عاطتني) فجعلها واحدة، ثم قال: (كلتاهما حلب العصير) فجعلهما ثنتين ؟ فلم يعلم أحد منا الجواب، فقال رجل من القوم: أمرأته طالق ثلاثاً إن بات أو يسأل القاضي عبيد الله بن الحسن عن تفسير هذا الشعر، فقال أبو ضبيان: فحدثني بعض أصحابنا السعديين قال: فأتيناه نتخطى إليه الأحياء حتى أتيناه وهو في مسجده يصلي بين العشائين ــ فلما سمع حسنا أوجز في صلاته، ثم أقبل علينا وقال ما حاجتكم ؟ فبدأ رجل منا كان أحسننا بقية فقال: نحن، أعز الله القاضي، قوم نزعنا إليك من طرف البصرة في حاجة مهمة فيها بعض الشيء، فإن أذنت لنا قلنا قال: قولوا. فذكر يمين الرجل والشعر. فقال: أما قوله: (إن التي ناولتني) هي الخمرة، وقوله: (قتلت) يعني مزجت بالماء وقوله: (كلتاهما حلب العصير) يعني به الخمر ومزاجها، فالخمر عصير العنب، والماء عصير السحاب. قال الله عز وجل: (وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجا) انصرفوا إذا شئتم. [٧٦]

وفضلاً عما سلف ذكره، فقد ضمت الشروح وبرغبة من الشارح نفسه، عادات وتقاليد القوم [٧٧] وأحداثاً تاريخية [٧٨] وتعريفاً بمواضع [٧٩]، وتراجم لأعلام [٨٠]، وأمثالاً عربية [٨١]....

وفي ضوء ذلك كان أبو الفرج ــ حقاً ــ من أوائل شراح الشعر، إذ أظهر كفاءة ومقدرة في الخوض في هذا المسلك وقياساً على سابقيه ولاحقيه من الشراح كان متميزاً وصاحب منهج واضح العناصر والخطوات، فتألق الأصفهاني لغوياً متضلعاً وراوية مدققاً معتمداً على علوم اللغة والتاريخ والأدب ليقدم مادة مفهومة فقد كتب لعامة الناس.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الهوامش

١. ينظر في ترجمة أبي الفرج، معجم الأدباء ٥/ ١٥٠، ووفيات الأعيان طبعة إحسان عباس ٣٥٧/٣/ والفهرست، لابن النديم: ١١٥ واليتيمة ١١٤/٣.
٢. الأغاني، المقدمة.
٣. وفيات الأعيان ٣٥٧/٣.
٤. أبو الفرج الأصفهاني، شفيق جبري، دار المعارف بمصر ١٩٦٥ ص ١٠. وينظر صاحب الأغاني أبو الفرد الأصفهاني، الراوية، محمد أحمد خلف الله ــ مكتبة نهضة مصر. ١٩٥٣، ط ١، ص١١،ص٢١٠.
٥. أبو الفرج الأصفهاني وكتابه الأغاني. محمد عبد الجواد الأصمعي، دار المعارف بمصر ١٩٥١ ص ٧٣.
٦. لسان العرب ٣٢٨/٣ مادة (شرح)
٧. دائرة المعارف الإسلامية ٣٤٨/٥. مادة تفسير، أمين الخولي.
٨. المصادر الأدبية و اللغوية في التراث العربي، الدكتور عز الدين إسماعيل، دار النهضة العربية ــ بيروت ١٩٧٦. ص ٨٧.
٩. ينظر بوادر شرح الشعر ــ فخر الدين قبادة، مجلة مجمع دمشق مج ٥٠ (١٩٧٥) ص ٨٠٦ ــ ٨١٩.
١٠. المصدر نفسه: ٨١٦.
١١. شرح الشعر الجاهلي: ٣٦٢/٢.
١٢. م.ن: ٨/٢.
١٣. ينظر رواد شرح الشعر: ص ٦٢٥.
١٤. ديوان أبي تمام بشرح التبريزي: ١٣/١.
١٥. المزهر: ٢٤٨.
١٦. جمع الباحث هذه النصوص بالاشتراك وصدرت بعنوان (شروح الأصفهاني في كتاب الأغاني) بغداد ١٩٦٧.
١٧. أبو الفرج الأصفهاني ــ شفيق جبري ص ١٠.
١٨. الأغاني: طبعة دار الثقافة ٥٤/٦ و ٩/ ١٤٨.
١٩. أبو الفرج الأصفهاني وكتابه الأغاني ــ الأصمعي: ١٤٢.

Urgent

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢٠. شروح الأصفهاني في كتاب الأغاني: ص٥٢، الأغاني: ٥٩٦/١٠، وقد اعتمدنا في الدراسة كتاب الأغاني طبعة دار الثقافة. وسنرمز إلى شروح الأصفهاني في كتاب الأغاني بالرمز (ش) وإلى كتاب الأغاني بالرمز (أ).

٢١. أ: ١٠ /٢٩٦ ش: ٧٨.

٢٢. أ: ٢ /١٢٤ ش: ١٢.

٢٣. أ: ٢ /١٢٦ ش: ١١.

٢٤. أ: ٢ /١٧٦ ش: ١٧.

٢٥. م.ن /١٨٧ ش: ١٨.

٢٦. أ: ٦ /٥٤ ش: ٤٢.

٢٧. أ: ١٢ /١٣١ ش: ١١٣.

٢٨. أ: ٢ /١٢٤ ش: ١٢.

٢٩. أ: ٢١ /١٤٣ ش: ١٤٥.

٣٠. أ: ١٠ /٢٩٦ ش: ٧٨.

٣١. أ: ١٠ /٣١٦ ش: ٨٥.

٣٢. أ: ١١ /٢٧ ش: ٩٤.

٣٣. أ: ٩ /٦٩ ش: ٥٩.

٣٤. أ: ١٥ /٧٢ ش: ١٣٠.

٣٥. أ: ٦ /٢٤٨ ش: ٤١.

٣٦. شاعر قديم يقال: أنه قبل أمرئ القيس

٣٧. أ: ١٠ /١٨٩ ش: ٧٧.

٣٨. هو طريح بن إسماعيل بن عبيد بن أسيد الثقفي، أبو الصلت شاعر الوليد بن يزيد الأموي، وخليله، أنقطع إليه قبل أن يلي الخلافة واستمر اتصاله به، وأكثر من شعره في مدحه. وجعله الوليد أول من يدخل عليه وآخر من يخرج من عنده وكان يستشيره في مهماته، وعاش إلى أيام الهادي العباسي (١٦٥هـ ـ ٧٨١م)

٣٩. أ: ٤ /٣٠٢ ش: ٣١.

٤٠. أ: ٩ /٦٩ ش: ٥٩.

٤١. م.ن

٤٢. م. ن

٤٣. أ: ٢٢ /٣٨٥ ش: ١٥٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤٤. أ: ٩ /٦٩ ش: ٥٧.

٤٥. أ: ٣ /١٤٦ ش: ٢٨.

٤٦. أ: ١٠ /٢٩٦ ش: ٧٨.

٤٧. أ: ١٠ /٣١٨ ش: ٨٦.

٤٨. هو روح بن زنباع بن روح بن سلامة، أبو زرعة أمير فلسطين ــ كان عبد الملك بن مروان يقول: جمع روح طاعة أهل الشام ودهاء أهل العراق وفقه أهل الحجاز، وله مع عبد الملك وغيره قصص وأخبار.

٤٩. أ: ٩ /٢٢٢ ش: ٧٣.

٥٠. أ: ١ /١٢٨ ش:٩.

٥١. أ: ٦ /٢٣٨ ش:٧٥.

٥٢. منهج أبي الفرج في كتاب الأغاني في دراسة النص والسيرة، داود سلوم بغداد ١٩٦٩. ص ٤٠. وينظر الأغاني: ٩/٦، ١٣٢/٢٧٢، ٥٥/١٣.

٥٣. أ: ١٠ /٣١٠ ش: ٨٣.

٥٤. أ: ١١ /٨ ش: ٩٠.

٥٥. أ: ١١ /١٥ ش: ٩٢.

٥٦. أ: ١٥ /٣٤٧ ش:١٤٣ .

٥٧. أ: ٩ /١٠٣ ش: ٦٢.

٥٨. ينظر المغني اللبيب، ابن هشام ١٧٣/١.

٥٩. أ: ١٧ /٣٠٤ ش: ١٤١.

٦٠. ينظر دراسات في فقه اللغة ــ د. صبحي الصالح. دار العلم للملايين ط٧ــ ١٩٧٨. ص ٣١١.

٦١. عدي بن زيد: من قبيلة تميم التي تنزل اليمامة في القسم الشرقي من جزيرة العرب. وكان جده، أيوب قد هرب من اليمامة خوفاً من دم أصابه في قومه فنزل الحيرة. واستطاع بماله من مقدرة أن يبني له مركزاً في المدينة عند ملوكها. وحينما نشأ عدي وجد مركز أسرته ثابتاً، وقد تمكن بما يملك من ميزات أن يكون ذا أثر فعال في تنصيب ملوك الحيرة، وتقرب إلى البلاط الفارسي وصار كاتباً له شأنه حتى أن أهل الحيرة لو أرادوا أن يملكوه لملكوه. ولكنه كان يؤثر الصيد واللعب على الملك كما كان يقول صاحب الأغاني.

٦٢. أ: ١٩٤/٢ ش: ١٢

٦٣. أ: ٢٠٦/٢ ش: ٢٠

٦٤. أ: ٢٦١/٤ ش: ٣٠

Urgent

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٦٥. أ: ٣٦٧/٤ ش: ٣٤

٦٦. أ: ٣٦٧/٤ ش: ٣٤

٦٧. أ: ٢١٢/٩ ش: ٧٢

٦٨. عبد الرحمن بن أرطأة بن سيحان المحاربي: شاعر غير مكثر. كان منقطعاً إلى بني أمية كواحد منهم، وله في بعضهم مدائح. ولد في أطراف المدينة، ووفد على الشام، وتوفي في المدينة، أكثر شعره في الشراب والغزل والفخر.

٦٩. أ: ٢٠٦/٢ ش: ٢٠

٧٠. أ: ٣٠٨/٢ ش: ٢٢

٧١. أ: ٣١٨/٤ ش: ٣٢

٧٢. أ: ٧٣/٥ ش: ٣٦

٧٣. أ: ٧٦/٥ ش: ٣٧

٧٤. أ: ٣١٨/٤ ش: ٣٣

٧٥. أ: ١٦٨/٩ ش: ٦٩

٧٦. أ: ٢٨٠/٩ ش: ٧٤

٧٧. أ: ١٠٧/٨ ش: ٦٤

٧٨. أ: ١٣٩/١٧ ش: ١٣٨، ١٦٦

٧٩. أ: ٣١١/١٠ ش: ٨٤

٨٠. أ: ٥٥٠/٢٣ ش: ١٦٦

٨١. أ: ٦ /٣٢ ش: ٣٩، ٨٣، ١٣٦

Urgent

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com